

## **الفصل الثاني**

**الترغيب في النكاح**

**- الزواج -**

obeikandi.com

## الترغيب في النكاح

النكاح - الزواج - سنة من سنن الله في الخلق، وهو الأسلوب الذي اختاره الله لإعمار الكون واستمرار الحياة بعد أن أعد كلا من الزوجين وهما لذلك ومدهما بعقل لا يدع الغرائز تنطلق دون وعي كبقية المخلوقات، وأنزل لهم القرآن دستوراً وبه نظم كافة الأمور الخاصة والعامة ومن بيناته أن قال تعالى: ﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرِبَاعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] وقال أيضاً: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

والمقصود بالنكاح شرعاً: هو عقد يفيد حل استمتاع الرجل من امرأة لم يمنع نكاحها مانع شرعي .

والمقصود بالأيمى جمع أيم وهو كل رجل لازوجة له وكل امرأة لازوج لها بكرأ كانت أم ثيبا .

ولقد قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".

ومن هذا الحديث نفهم أن الزواج لمن احتاج إليه يعتبر من أهم وجوه الإصلاح، ويدل هذا أيضا على أن من مهام ولى الأمر العمل على صلاح الرعية وتيسير أمورهم وإصلاح حالهم، ولاريب أن الشباب محتاج إلى الزواج ليستعين به على عفة نفسه وغيض بصره وحفظ فرجه وليكون أسرة طيبة تنجب الذرية الصالحة.

ومسئولية ولى الأمر تحسين سبل المعيشة وتوفير المسكن الضروري وإعانة الشاب على أعبائه المالية والاجتماعية.

وعلى من رزقهم الله بسطة في المال معاونة الشباب الذى يريد الزواج في كل أموره أسوة بموقف الصحابة والأولين، وذلك هو السبيل إلى قيام المجتمع الفاضل الذى تنتشر فيه الفضيلة وتموت فيه الرذيلة فينشأ النشء على العفة والطهر والشرف والصيانة وبه تفتح أبواب الرزق وتسد أبواب الفقر.

وفي قول الرسول ﷺ "فليتزوج" أمر للشباب التائق إلى النكاح بالتزوج. وقد وجه الخطاب والأمر إلى الشباب، وقد خصهم بالذكر دون الشيوخ لأن شهوة النساء عندهم أقوى ما يكون، فهم فى عنفوان شبابهم وأوج قوتهم، فأرشدهم ﷺ إلى الطريق الطيب الحلال الذى به ينالون هذه الشهوة، وبذلك يستطيعون التحكم فى أنفسهم وتوجيهها إلى ما يرضى الله عز وجل، ويصونون شبابهم من الانحراف والوقوع فى حماة الرذيلة.

في نفس الوقت يعود ذلك على أمتهم بالخير والصلاح، فالشباب إذن في أمس الحاجة إلى الزواج وهم أقدر على تحمل تبعاته، ولذلك خاطبهم النبي ﷺ وأمرهم بالزواج.

والحق أن التائق إلى النكاح القادر على مؤنه، الخائف على نفسه من الوقوع في الزنى يجب عليه أن يتزوج لأن عدم التزامه بالنكاح قد يؤدي به إلى الوقوع في الزنى والعياذ بالله، والزنى من أقبح الفواحش ومن الموبقات، فما أدى إليه وهو ترك الزواج حرام. وما منع منه وهو الزواج واجب. وظاهر صيغة الأمر الوجوب، وقد تبرأ ﷺ من المعرض عن الزواج.

ولو تأملنا حال الشباب اليوم من التخيُّط الذي يعايشونه وما وصل إليه الحال الآن من أفكار غريبة بل غاية في الغرابة يستقونها من الحياة المتناقضة والأحوال المتردية التي وصلنا إليها والتي قد تؤدي بهم للتطرف في أي شيء وعلى أي مستوى سنجد أنه من الواجب على من يستطيع النكاح أن يتزوج حتى يحفظ نفسه وتهدأ روحه وتستقر حياته ويقوى إيمانه ويستقبل الحياة بروح رحبة وإذا كان هذا بالنسبة للشخص المقتدر على الزواج، فماذا عن الفقير الذي لا يمكنه ذلك؟

أما من يتوق إلى النكاح ولا يجد المؤن المحتاج إليها للحياة الزوجية فيكره له الزواج لأنه لا يجد ما ينفقه على زوجته فيضيعها. ومن كان فقيراً عنده الكفاف فالله سبحانه وتعالى قد حثه على

الزواج ووعده بالغنى من فضله، قال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢]، وقد زوج النبي ﷺ أحد أصحابه وكان في غاية الفقر حتى أنه لم يجد خاتماً من حديد صداقاً لزوجته فزوجه ﷺ على ما معه من القرآن، وكان رجلاً يستطيع العمل والكسب ليكفي نفسه وأهله.. وكم من الناس قد يحجم عن الزواج مع أن عنده الكفاف والكفاية ولكنه يتطلع إلى الحياة المترفة الناعمة، فيحرم نفسه بذلك من الحياة الزوجية السعيدة التي يجد في ظلها المودة والرحمة والسكن والاستقرار والطمأنينة.. وبذلك يحرم أيضاً فتاة مسلمة تتوق إلى الزواج.

وأما من يتوق إلى النكاح ويجد مؤنه ولا يخاف على نفسه العنت فيستحب له النكاح استجابة لأمر الله ولأمر رسول الله ﷺ. ومن لا يتوق إلى النكاح ولا يجد مؤنه فيكره لأنه قد لا يعطى المرأة حقها المشروع لتسكن نفسها وتستعف، ولأنه كذلك قد يعجز عن الإنفاق عليها فيؤدى ذلك إلى ضياعها. كذلك يكره الزواج إذا أدى إلى انشغاله عن العلم والعبادة.

وفي قول الرسول ﷺ: "فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج" غض البصر خفضه كما قال تعالى: ﴿ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: ١٩] والمراد به هنا صونه عن النظر إلى النساء الأجنبيةات وصيانته وحفظه من الوقوع في الحرام، والحصن هو المكان المنيع وقد سميت المرأة العفيفة محصنة لامتناعها وتساميتها عن الحرام.

وذلك يعنى أن هناك وسائل لغض الأبصار وتخصين الفروج، ومن هذه الوسائل لزوم تقوى الله تعالى والخوف منه وذكره ومراقبته، وكذلك البعد عن الاختلاط بالنساء والاختلاء بهن والزواج أقوى هذه الوسائل أثراً وأعظمها نفعاً، ذلك أن الذى يتزوج قاصداً إعفاف نفسه وإعطائها حقها المشروع اللازم لها عنده الحلال الطيب الذى يستمتع به متى شاء، وبهذه المتعة الحلال ترق نفسه وتصفو وتلين وتقع بما أحل الله لها، ومن ثم فإنه يجد من نفسه القناعة بالحلال والرضا به.

ولقد أخبر رسول الله ﷺ وهو الصادق الصدوق الذى لا ينطق عن الهوى أن الزواج أَدْعَى إِلَى غَضِّ الْأَبْصَارِ وَحِفْظِ الْفُرُوجِ، فهو الوسيلة التى بها يستقيم الشباب ويسير على النهج السوى وينأى عن طريق الغواية والضلال، وبه يزكى نفسه ويمنعها من هواها.

أما الذى لا يقدم على الزواج من الشباب وقد تهيأت له أسبابه فإنه من الصعب عليه أن يقاوم هذه الشهوة الجاحمة، فيسير وراء أهوائه ويتجاوز الحدود ويؤثر شهوات الحياة الدنيا، وبذلك تضعف النفس ويعرض القلب بحب الشهوات.

ولقد تضافرت الأدلة على طلب الزواج والإقدام عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]، فقد أمر الله بالزواج ووعد الفقير على ذلكم بالغنى والله لا يخلف وعده وفضل

الله عظيم ورحمته واسعة وخزائنه لا تنفذ ذلك لأن القصد بالزواج طلب الذرية الطيبة والاستعفاف والرغبة في سنته ﷺ وهو بالزواج يصون نفسه ويصون أهله ويبنى بيتا مسلما، ويتعاون مع أهله على البر والتقوى فهو جدير إذن بفضلته تعالى ورحمته، وقد روى سيدنا أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثة حق على الله إعانتهم: المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد أن يستعفف، والمكاتب يريد الأداء" [رواه الترمذى والحاكم والدارقطنى] وصححه.

وقال الصديق ؓ: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى.

وقال ابن مسعود ؓ التمسوا الغنى في النكاح .. والزواج شرعة حكيمة وسنة قويمه وخيار الناس وهم المرسلون جعل الله لهم الأزواج والذرية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، بل إن الله سبحانه قد خص بعضهم بمزيد من الأزواج لحكمة سامية تعود كلها إلى مصلحة الرسالة والدعوة إلى الله تعالى.

وفي الزواج تنظيم لغريزة فطرية أودعها الله في الإنسان والحيوان والطيور. ولا بد من إشباع هذه الغريزة، وقد ميز الله الإنسان عن غيره بالزواج تكريما للإنسان وتفضيلا له.

والزواج وسيلة لبقاء النوع الإنساني - كما سبق وقلنا - ليظل

الإنسان خليفة الله في أرضه، وبه يتم بناء أول لبنة في كيان المجتمع، فإذا صلحت هذه اللبنة صلح المجتمع كله، ولذلك أمرنا الله بأن نختار الطيبات للطيبين والطيبين للطيبات.

وإذا روعى هذا الأساس كان الزواج بحق أعظم نعمة بعد نعمة الإيمان، إذ يشعر الإنسان حينئذ بالسعادة الحقيقية حيث المودة والرحمة والسكن بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وهذا هو الزواج الذي يتمناه المؤمنون من عباد الرحمن، قال تعالى في بعض أوصاف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ويعد ما مر بنا من آيات قرآنية وأحاديث نبوية نخلص إلى أن المقصود بالزواج هو الاستجابة لأمر الله تعالى والرغبة في سنة رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يباهى بأمته الأمم يوم القيامة.. يباهى ﷺ بالكثرة الطيبة التي ربيت على أدب الإسلام وخلق القرآن والولد الصالح خير وبركة لوالديه. فإذا مات الوالد وترك ولدا صالحا مؤمنا صادقا يدعو له لم ينقطع عمل والده بعد وفاته.

وإذا مات الولد صغيرا قبل أبيه كان شفيعا له، وكان رحمة له، وكان نعمة له من ربه ودخل الجنة بسبب رحمته له.

وكما ينبغي أن نقصد به الاستعفاف والتحصن وذلك بإشباع هذه الحاجة الفطرية من طريق طيب حلال كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ،

وبذلك يكون زواجه عبادة يثاب عليها، وقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه " وفي بضع أحدكم صدقة " فأخذهم العجب وقالوا أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال ﷺ: أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟ قالوا نعم. قال فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" (١).

هذا وكل شهوة تقسى القلب إلا شهوة الزوجة فإنها تزيد رقة وصفاء وبهاء ونقاء، ولولم يتزوج الإنسان لضاع أكثر وقته في الأمور الحياتية ولما استطاع أن يتفرغ لسعيه على معاشه أو يكون متفرغا تماما لعمله، ولن يكون مستريحاً من جهة بيته وأموره المعيشية.

فالزوجة إذن عون له على الدين والدنيا، وهي كذلك من حسنات الدنيا، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وحسنة الدنيا هي الزوجة الصالحة كما ذكر ذلك بعض المفسرين. وفي الزواج مجاهدة للنفس برعاية شئون الزوجة والأولاد وتحمل مسئولية توجيههم إلى الخير وإبعادهم عن الشر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

[التحريم: ٦].

ومن أهم مقاصد الزواج كذلك إبقاء النسل بحصول الذرية، فقد خلق الله الإنسان وأعد له عملية الإنجاب لإعمار الأرض، وهذا مراد الله تعالى من خلق الذكر والأنثى، فقد خلق في الإنسان الجهاز

التناسلي وخلق النطفة في الفقار وهياً لها في الاثني عروقا ومجاري، وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة، وسلط داعي الشهوة على كل من الذكر والأنثى، فهذه الأفعال العظيمة والآلات دالة على مراد خالقها منها كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الكثيرة، فكل معرض عن النكاح معطل لما خلق الله عز وجل. معرض عن الحكمة الإلهية في خلق الذكر والأنثى وما أمر الله بأمر إلا وافق ذلك الأمر خير الإنسان وسعادته.

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: "لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور"، وبهذا يتبين فضل الزواج الذي أمر به الله عز وجل وأكدت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم "ومن لم يستطع فعله بالصوم"، أى من لم يقدر على النكاح لعجزه عن مؤنه مع رغبته فيه فعله بالصوم.

وإنما أمر بالصيام ولم يقل مثلا "فعله بالجوع" بإقلال الطعام والشراب لأنه صلى الله عليه وسلم أراد أن ينتقل إلى عبادة مقصودة يثاب عليها وهى الصيام، أما مجرد الجوع من غير نية الصوم فلا ثواب فيه "فإنه له وجاء" (١).

فبذلك الصيام تضعف شهوته ويضعف تأثيرها عليه وتحكمها فيه، فيستطيع إذن أن يغض بصره ويحصن فرجه. وأما من لم يجاهد نفسه بالصوم فإنه من الصعب عليه أن يغض بصره أو يحفظ فرجه لقوة داعية الشهوة وتمكنها من الإنسان الذى خلق ضعيفا لا يقوى على مقاومتها بدون السلاح الذى دل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) وجاء : أى كسر الشهوة وضعفها .